الضياء بهرا
العدد ٤٧٨- الاحد ١٥ آذار ٢٠٠٩م - ٦٧٥٨ آ
Bahra No 478 Sun. 15 Mar 2009

خلاصة الشعر

خلاصة الشعر

Sabah_alkass@yahoo.com

صباح القس/ بغداد

وما ضاعَ مالٌ أورثَ الحمدَ أهلَه
ولكنَّ أموالَ البخيلِ تضيعُ
إذا خزَنَ المالَ البخيلُ فانما
خزائنُه خطيّةٌ ودروعُ

هذان البيتان للشاعر الاموي العباسي بشار بن برد.

وهذا البيتان من قصيدة في مدح ابراهيم بن عبد الله الحسن.

لقد نشأ الشاعر بشار في بيئة بصرية وفيها تعلم وتربى وعن علمائها اخذ ودرس وفي حاراتها درج وبشعرائها ومجّانها امتزج.

وكل دارس لشعر بشار يجد آثار الاسلوب الاسلامي الاموي ظاهرة بادية في شعره. رغم ان النقاد عدّوه من مجددي العصر العباسي، لكن ظاهرة التجديد لم تبزغ في بداية العصر العباسي. بل كانت لها جذور وامتدادات في العصر الاموي اثمرت واينعت مع الانفتاح الذي شهده العصر العباسي والحرية التي سمح بها خلفاؤه.

وقصائد المديح لا يمكن ان تكون كلها في خدمة الممدوح. خاصة تلك القصائد الطوال التي اعتاد الشعراء المداحون على الاكثار من ابياتها وحشو هذه الابيات بالكثير من الاغراض.

وقصيدة المدح التقليدية تبدأ بالغزل ثم وصف رحلة السير والقدوم الى الممدوح وما لاقاه الشاعر من عذابات الطريق ثم الوصف والاكثار من الفخر وربما تفلت من الشاعر بعض ابيات الحكمة كما في البيتين السابقين ولا يكاد يحصد الممدوح من قصيدة المدح الطويلة هذه الا ربعها او اقل من هذا.

وبشار شاعر متكسب وهذا الامر ليس بغريب، وكان من عادته انه يمدح شخصا ما بقصيدة، وعلى الممدوح ان يجزل العطاء حتى لو كانت القصيدة لاتستحق التكريم. فاذا لم يدفع الممدوح ما توقعه بشار او ما رغب فيه فهناك امران ينتظران ذلك الشخص اولهما ان بشارا يرفض استلام الهدية، وثانيهما ان بشارا سيعقب المديح بقصيدة هجاء وهو من المقتدرين على هذا الفصل حتى مع الخليفة. وهجاؤه لهذه الشخصيات هو الذي عجل بموته.

اذن بيتا الحكمة هذان جاءا ضمن قصيدة مدح. وهكذا نجد الكثير من ابيات الحكمة متناثرة ضمن اغراض اخرى.

في البيت الاول حكمتان الحكمة الاولى في الشطر الاول ومقصدها ان المال لن يضيع اذا صرف بما يترك حمداً لاصحابه كان يصرف للفقراء او في بناء مدرسة او مستشفى او اي خدمة عامة ينتفع بها الناس لذلك فالناس ستتذكر لاصحاب المال فضلهم وتظل تثنى عليهم بالحمد والدعاء.

وفي الشطر الثاني تنقلب المعادلة اذ ان اموال البخيل ستضيع وضياعها يكون عن طريق توزيع الارث، والوارثون بعد رحلة حرمان مع المورّث البخيل سيبذرون الاموال كردة فعل معاكسة. فتصرف الاموال في امور لاتوجب الحمد فتضيع.

وفي البيت الثاني شرط وجواب شرط وجواب الشرط هنا يحتمل امرين وفيهما جواب عن سؤال اين ستذهب اموال البخيل؟ وجواب الشرط يعطي تفسيرا لهذا السؤال. التفسير الاول يقول ان الوارثين سيتخاصمون على مقدار حصة كل واحد منهم ونتيجة عدم الاتفاق على النسب فسيصمد كل واحد منهم للاستحواذ على اكبر قدر من هذا المال وسيحرص على القتال في سبيله ولاجل هذا فانه سيشتري السيوف والدروع للقتال والدفاع.

والتفسير الثاني ان هذه الاموال ستذهب الى الدولة او ان نسبة كبيرة ستذهب الى الدولة والدولة بحاجة الى سلاح. لذلك فان الدولة ستقوم بشراء السيوف والرماح والدروع لحماية نفسها.

والبخيل في كلتا الحالتين لن يحصد سوى اللعنات في الدنيا لبخله وتقتيره وفي الاخرة لما تركه من اثره وتأثيره.

الكلمة الطيبة

خاطرة من بلد الغربة

مناهل يوسف/السويد

كبذرة الصنوبرة
تكبر وتصبح شجرة
من اجمل الشجر
الكلمة الطيبة، تحرك الصخر، تفتته،
تدمره،
وتلاشيه
فهي السحر نفسه
الكلمة الطيبة
كالقلب الطيب، والعقل النيرّ
تلك اللحمة الصغيرة،
يسيطر عليها
اللّسان
تصدر عنه النفايات، النقد، الطمع،
الجشع، السخف
تمزيق وزيف وثرثرة
وضحكة صفراء
الكلمة الطيبة.. هي العطاء
هي جمال الطبيعة، فصل الربيع، ولادة
الزهور
فيها تتدفق الحياة، وتثري الوجود.
الكلمة الطيبة
هي الترحيب بالغريب، اطعام الجائع،
حُبُ الاخرين
هي التضحية.
هي 'وان كان ابناً' قال: في البدء كانت
الكلمة...
الكلمة الطيبة
سنبلة الحقل، تصبح خبزاً للجميع
كلنا نملك تلك الكلمة
كلنا نملك هذا الكنز
قل للاخرين
كونوا كالشمس، كالشمعة، كالورود
اكثروا من الكلمة الطيبة، تموت
الاشواك
وتنتحر القلوب العنيدة
الناس محبّة
بالكلمة تسعد وتساعد الاخرين،
تسرّهم
وتمسح بكاء المتألمين
وتكون الفرحةُ امل المتوجعين
فأن استطعتَ، فافعلْ
فأنت لاتخسر شيئاً
لاتتكلف شيئاً
قلْ فقط
الكلمة الطيبة.. وابتسم

الخيط الرفيع

موشي بولص موشي

لطالما كنت الام واعنف احيانا على سطحية علاقاتي بالاخرين ولا مبالاتي وتوجسي منهم سواء كانوا اقاربا ام زملاء ام جيرانا حتى كدت انسى اسماءهم وهذا بحد ذاته شيء محرج ومقرف فعلا. وحسب يقيني ان الوحش فقط بامكانه العيش في عزلة تامة اما الانسان فهو كائن اجتماعي بطبعه والوحدة هي عدوه اللدود.

ولكن ما الذي نستطيع فعله حيال مشاعر الحقد والكراهية والغيرة والبغضاء والحسد التي تطارد هذا الفرد او ذاك بسبب نجاح هنا وانجاز هناك؟ ان الصداقة واحدة من انبل المشاعر الانسانية تضمحل بدورها وتتمحى اذا غلفتها الماديات والمنافع الشخصية ولانها رقيقة كالنسمة فهي تنمو وتزدهر في فضاءات طاهرة نقية خالصة تذوي وتذبل في الاجواء الخانقة الكدرة. ان تجارب الحياة وتراكماتها هي التي تحدد السلوك العام للمرء تجاهها وتصوغ افكاره ونهجه حولها. هنالك الكثير من قصص الصداقة نستنبطها من بطون التاريخ فهي زاخرة بقادة رفاق درب غيروا وجه التاريخ ناضلوا وكافحوا واستبسلوا معا ردحا طويلا من الزمن وتعرضوا لشتى انواع القهر والتعذيب والاغتيال والنفي من اجل اهداف نبيلة وقيم سامية واضحوا جزءا لا يتجزأ من الوجدان الانساني وعندما اتتهم الظروف وتولوا زمام السلطة انقسموا وتقاتلوا فيما بينهم، تشرذموا وذهبت صداقاتهم ادراج الرياح ومازال البعض منهم احياءا شهودا على مذبحة الصداقة وتذكارا علها تنفع الذكرى. ان التناقض في المشاعر موروث انساني لا يمكن اغفاله او تجاهله او التقليل من شأنه ولكن يبقى من واجبنا دوما ان نشذبه ونهذبه ونسموا به حيث الرفعة والسناء والا سنبقى وحوشا ادمية تنهش بعضها بعضا.

بول سيزان الرائد الاول للفن المعاصر

الفنان متي ال كانون

يعتبر سيزان "١٨٣٩ - ١٩٠٦" بحق الاب الروحي لجميع فناني الحركة التقدمية المعاصرة، انه الينبوع الضخم الذي تفرعت منه شتى الاتجاهات والتيارات الفنية للمذاهب الحديثة في القرن العشرين، وفتح الباب على مصراعيه للمجددين والمتحدثين الذين يتطلعون نحو افاق جديدة في الفن.

ومن اجل ذلك وضع الباحثون الجماليون لفن سيزان نظرية يمكن ان تنطوي تحت لوائها جميع او مختلف الاتجاهات الفنية التي سلكها. سيزان تبعا لنظرته الى الاشياء وطريقته في التعبير عنها، وهي نظرية الانفعال البصري التي اعتمد عليها من سيزان بعد ان هجر الاتجاه التأثيري الذي كان يراه سطحيا لا يستطيع التعبير عن الحقائق والمعاني التي تزخر بها سيزان. والمضمون الذي تقوم عليه نظرية الانفعال البصري:

ليس المقصود رسم الاشياء كما تبدو لاعيننا، وانما هو رسم الاثر الناتج عن وقوع اشكال هذه الاشياء على احساسنا. وبذلك يخرج سيزان عن كل ما تواضع عليه العرف الفني لدى المصورين السابقين.

ومن مميزات هذه الفترة عن التأثيرية السابقة لمونيه ومانيه:

1. الاهتمام بالاضواء لكشف جواهر الاشياء والتقليل من طبيعة الاشكال بعكس المدارس السابقة.
2. الاشكال في المدرسة السابقة كان الاهتمام بالشكل لوحده، بينما سيزان كل جزء قائم بذاته ومنفصل.
3. التأثيرية كانت تعطي بعدا واحدا للشكل بينما سيزان يعتني بالجو العام للصورة مع تحليل الالوان بشكل دقيق يدعو الى الدهشة.
4. العناية بالفكرة والشكل والمضمون والجوهر واستخدام التحديات في رسم الظلال.
5. رسم الاشخاص بنفس طريقة الطبيعة الصامتة.
6. استخدام الاشكال الهندسية باسلوب تكعيبي وظهور اشكال مسطحة بواسطة فرشة عريضة وحركة نادرة ومتميزة مما مهد الطريق الى الفن التكعيبي والتجريدي وكل ما هو حديث بعده.

تلك هي امي

همسة

لونا يوآرش هيدو

وجه له شفتا قمر.. اصابعها
رطبة.. ويداها دافئة
ينبض فؤادها عطاءا.. رسائلها
من القلب للقلب
وحنانها الذي لايشبع.. لم تنم
الليل ابدا
تلك هي امي
فأن دخلت في ظلها تتصاعد
موجات املي..
مازالت اناملها في خصلات عمري
المتناثرة
تعود بي الى طفولتي..
تلك هي امي..
وددت بين ذراعيها اللذين كالدنيا
تغمرني فيتو الدني
الامان، واغرق في حنانها وعبق
احضانها
ليتني احتفظ بالزمن في جيوبي
لاانبثق من جديد
برعما يتلو انشودة الحياة..
تلك هي امي..
في وجهها ترتوي صباحاتي
وتغدو احلامي في ميادين الالق
فيتلون نبض حياتي..
ولو كانت حياتي زهرة لقطفتها
من غصنها لازين بها صورتك..
ياأمي

لقاء مفاجئ

بريدون يوسف

بعد انتهائه من عمله كان يتجول بالسيارة او مشيا على الاقدام بحثا عن اشخاص ينتمون لبلده لكي يأتي بهم ليعملوا معه في المشروع الذي اوكل اليه من قبل صاحب الشركة الذي خوله القيام بجلب ما يكفي من العمال.

في هذه الاثناء صادف شابا في احد الاسواق. اقترب منه وسأله ان كان يعرف شخصا ينتمي لبلده يعيش في هذه المدينة فقال انا هو، فرحب به كثيرا ثم سأله عدة اسئلة اخرى، ان كان يقيم هنا بشكل دائم ام مؤقت. هل يعمل ام لا؟ هل هو وحده ام مع عائلة او اصدقاء؟ اخيرا فهم انه مع اخوه وثلاثة اصدقاء يقيمون هنا ولا يعملون وقد جاءوا قبل فترة من الزمن.

بعد ذلك طلب منه ان يرافقه الى محل اقامته ليريه المكان الذي يقيم فيه مع ملاك الشركة. فرح الجميع بلقائه.

اخيراً سأله ان كان يريد العمل معهم، ففرح كثيراً لانه لم يكن في ذهنه واصدقائه الثلاثة ليعملوا جميعا مع الملاك. مع مرور الوقت واثناء التجوال في المناطق السياحية لذلك البلد وعلى شواطيء البحر مساء يوم الخميس والجمعة كان يطلب منه ان يحكي له طريقة دخولهم هذا البلد.

وهم لايملكون جوازات سفر او اي شيء يثبت انتماءهم لبلدهم الذي غادروه.

كنا انا واخي والاصدقاء الثلاثة نقيم في منطقة قريبة من حدود دولة مجاورة لبلدنا. اتفقنا مع بعضنا لدخول اراضي تلك الدولة. واثناء تجوالنا في مدينة قريبة من البحر وبحذر شديد. تعرفنا على شخص يعمل في احدى البواخر الراسية قرب الشاطيء، فساعدنا على المكوث فيها لمدة ثلاثة ايام. ثم طلبنا منه مساعدتنا للخروج من هذا المكان لقاء مبلغ مغر. وافق فادخلنا الى السفينة قبل مجيء الطاقم الاجنبي لكي لا يرانا احد ثم نسافر معه. وكان هذا الشخص من ضمن افراد الطاقم.

واثناء دخولنا وسط البحر. فوجئنا بدخول احد افراد الطاقم الى المكان الذي نحن فيه. فبدأ بكلام غريب لم نفهم منه شيئا. واخيرا دفعنا بقوة الى سطح السفينة وبعد جدال طويل بين افراد الطاقم. قرر ربان السفينة رمينا في البحر.

نفس الشخص الذي اتفقنا معه قام برمينا ومع كل واحد منا رمى برميل نفط فارغ. مما ساعد على الاستمرار في الطوفان والسباحة الى ان وصلنا للشاطئ. فوجدنا قرية تابعة لهذا البلد. رحب بنا اهلها بعد معرفتهم من نحن ومن اين وكيف اتينا الى هنا. طلبوا منا المكوث عندهم لفترة. ولكننا كنا مضطرين للذهاب الى المدينة. فقام بعض الشباب الطيبين بمرافقتنا الى هذه المدينة التي نحن فيها الان.

بعد ذلك عثر الرجل على شابين اخرين فجلبهما معه ليعملا مع الاخرين. وكان دخولهما هذا البلد بشكل رسمي وليس لديهما اية مشاكل. وبعد انتهاء العمل. انتهى اللقاء.

الكتابة الروائية بين أخلاقية الميزان والبعد الرابع*

حيدر عبد الرضا

عالم الكتابة الروائية كالبحر مائج لايستقر، او كالصحراء تبدو متشابهة المعالم بيد انها تتلون كما تتلون في اثوابها الغول. ولعل الروائي، لهذا السبب، لم يستطع "الى اليوم" ان ينظم الملاحم الطويلة، فكيف له بأمساك هذا "التأليف" وتشبثه في موضوع واحد؟ تبقى من جهة تبدو غاية في الاهمية والتأثير وفي مهمة التاليف الروائي وما يترتب علي هذه المهمة من مهام الكشف للعلاقة الخالصة بين ماهية الانسان وبين عالمية ما يحيط به في لحظة من اللحظات المعاشة.. وتماما مثلما يكافح البشر علي الدوام داخل شراك العلاقات القديمة واحابيلها، نرى الفن الروائي الحديث يتخطى تلك "الازمان" التي تستقر وراء تلك اللحظة المعاشة باستمرار. ان الفنان التشكيلي عندما يقوم برسم "شجرة" فانه يحاول الكشف عن تحقيق العلاقة الحيوية بينه كانسان وبين حدود مفهومية عوالم الشجرة في لحظة زمنية عابرة، حيث يتعذر علينا ادراك ماهية تلك الشجرة بالذات، كما ان الكاميرا لايمكنها تصوير "الشجرة" على النحو اكثر كمالا مما قام به ذلك الفنان نفسه.

أن المنظر الموجود علي لوحة الرسم أو الرؤية التي يكونها الانسان من ذلك المنظر يشكل مسالة ثالثة لانه شيء لايمكن ادراكه او تغيره وهو نتاج وليد "الشجرة" والفنان نفسه. ان المنظر الموجود علي ذلك اللوح لا يمكن ايجاد وحدة للمقارنة بينه وبين القماش او الزيت او بينه وبين الشمس، النبات. انك لا تستطيع ايجاد ذلك المعيار او المقياس او حتى وصف المنظر الموجود على قطعة القماش تلك، ومن الصدق القول بان وحدة القياس تلك موجودة فقط في "البعد الرابع" كثر الجدل حوله، اما المكان الذي يتصف بالابعاد الخاصة فلا وجود لذلك القياس فيه بتاتا. ان ذلك ليمثل وحي العلاقة الكاملة، في لحظة معينة بين الفنان والشجرة وليس الامر ما يمكن تشبيهة بوجود انسان في مرآة او زهرة او شجرة فيها هو فوق او تحت او عبر أي شيء من الاشياء. انه شيء موجود بين كل شئ في "البعد الرابع".

ان العلاقة الكاملة بين الفنان والعالم الذي يحيط به هي حياة البشر نفسها التي تنطوي على جوهر البعد الرابع للأبدية والكمال، ومع ذلك فأنها لحظة خاطفة. ان كلا من الفنان والشجرة يختفي قيامهما بتكوين علاقة جديدة، كما ان العلاقة بين كل الأشياء، هنا قد نستنتج ان الفن الذي يكشف او يحقق علاقة أخرى ذات كمال، سيصبح جديدا و إلي الأبد، وفي الوقت نفسه، فان الشئ الذي يتكون في "المكان اللابعدي" من العلاقة الخالصة، يصبح أزليا ولكنه لايتصف بالحياة، وهذا يعني انه يمنحنا الشعور لان يكون وراء حدود الموت او الحياة.

كذلك فاننا حينما نتحدث عن "اسد اشوري" او "راس صقر مصري" ونقول انه يعيش، فاننا نقصد في الواقع ان ذلك الاسد او راس الصقر انما هو موجود وراء حدود الحياة، وهو علي هذا الاساس، وراء حدود الموت كذلك. انه يمنحنا مثل ذلك الشعور، كما ان هناك شيئا في داخل نفوسنا يجب ان يقع هو "الاخر" وراء حدود الحياة والموت. وبهذا الاطار الحالي قد ندرك جمال الكتابة الروائية الحديثة وقيمتها الكبيرة، ومن هنا ندرك ان الفلسفة الادبية تسعى دائما لترسيخ جملة الاشياء من اجل ايجاد موازنة اخلاقية ثابتة، ونقول اخلاقية – والمقصود بها الموازنة الجمالية المتغيرة ما بين العالم المحيط وبين العلاقة الخالصة مع الاشياء– وهذا الشيء، اذا قدر لنا ان ندركه، هو حياتنا وابديتنا: انه العلاقة الحادة والكاملة ما بيننا وبين العالم المحيط بيننا..

ومن خلال الاعتقاد بان الرواية هي المثل الاعلى لكل العلاقات الدقيقة المتداخلة التي اكتشفها الفنان، فكل شيء يكون واقعيا في حدود زمانه ومكانه وظروفه الخاصة، وغير واقعي خارج حدود مكانه وزمانه وظروفه الخاصة ايضا. انك اذا اردت دق المسمار في اية نقطة من الرواية، فسوف يؤدي ذلك العمل الى قتل الرواية او الى جعل الرواية تفلت لتطير الى الاعلى آخذة ذلك المسمار معها.

ان الأخلاقية المتوازنة في الرواية الحديثة تمثل حالة من اللااستقرار المتأرجحة للموازنة، لان الروائي وهو يحاول وضع اصبعه في كفة ميزان من اجل جر كفة التوازن لصالحه او لما ينزع اليه، يصبح الامر لا اخلاقيا. ان الكتابة الروائية الحديثة تميل لان تصبح لااخلاقية اكثر فاكثر عندما يميل الروائي نفسه الى ضغط اصبعه على كفة ذلك " الميزان" بقوة اكبر فاكبر! ان كانت لهجة الحب الخالص او لهجة "الحرية" اللاملتزمة.

وكقاعدة عامة، بالطبع، ليست الرواية لااخلاقية، لان الروائي عادة ما يتمتع بفكرة او هدف ظاهرين، اما اللااخلاقية فانها تكمن في نزوع الروائي الضعيف اللاواعي. ان حكاية الحب، على سبيل المثال، عاطفة عظيمة، ولكنك اذا شرعت في كتابة اية رواية وانت في اشد الانفعالات نزوعا للحب، الحب الذي يجسد العاطفة الاسمى الوحيدة الجديدة بان يحيا من اجلها الانسان، تصبح الرواية التي تقوم بكتابتها لااخلاقية، نظرا لانه ليست هناك عاطفة مثالية، او على وجه الحصر، جديدة بان يحيى من اجلها الانسان، ان العواطف كلها تؤدي الى خلق نوع من العلاقة الحية بين انسان وبين مخلوق اخر او شيء اخر يصبحان على صلة نقية به، اقول، ان العواطف كلها ويضمنها الحب والكراهية والغضب والرقة، تؤدي الي تعديل ذلك اللااستقرار او التارجح وتلك الموازنة القلقة بين أي شخصين يرقيان الى تحقيق أي شيء. ان الروائي اذا وضع اصبعه في كفة "الميزان" من اجل ان يحقق الحب والرقة والسلام، فانه يقترف عند ذاك عملا لااخلاقيا، لانه "يمنع" بذلك احتمال الوصول الى علاقة نقية او اتصال نقي، وهو الشيء الوحيد الذي يهم، اضف الى انه يجعل رد الفعل القطيع امرا لامفر منه، وذلك لانه قد اجاز لاصبعه التوجه نحو الكراهية والبربرية والقسوة. لقد بنيت الحياة بشكل كانت فيها النقائض تتارجح حول مركز موازنة قلق غير مستقر. ان الرواية من بين كل اشكال الفن الادبي، تبقى اكثر تلك الاشكال حاجة الي تلك الموازنة المتارجحة اللامستقرة والان دعنا نتعلم شيئا من الرواية، ففي الرواية لاتستطيع الشخصيات القيام باي شيء سوي العيش، واذا تحتم عليهم ان يكونوا طيبين بموجب موازنة الصيغة المطلوبة، او حتى متقلبي المزاج او بعيدين عن الهموم بموجب تلك الصيغة ايضا، فانهم لابد سيتوقفون عن كل ماله صلة بالحياة وسوف تموت الرواية تبعا لذلك. ينبغي علي الشخصية ان تمارس الحياة في اية رواية والافهي شخصية لاتعني شيئا. واخيرا اقول ان الرواية وسيلة هامة لكشف مديات علاقاتنا الحية المتغيرة، ولكن بشرط ان يبعد الروائي اصبعه عن كفة اخلاقية الميزان، اما اذا وضع اصبعه في كفة الميزان، فسوف تصبح الرواية اداة انحراف لانظير لها.

* موقع الف ياء.

هل انحسر جمهور الشعر حقا؟*

د. ناهضة ستار

من الصدق و الالم معا الاعتراف بحضور هذه الظاهرة في المشهد الادبي المعاصر و ان البحث في مرجعيتها و بواعثها به حاجة الى عميق فحص، وجدل خبرات، و صحة مقدمات، و منهج، و سلامة دليل، وسعة افق وتصور .. فان الظاهرة اذا بزغت في سماء الواقع الادبي لا يعني هذا ان مشكلها ادبي انما هي من حيث جنس المشكل ادبي اما البواعث و المؤثرات و المهيمنات فهي ثقافية او فكرية او سياقية متشظية، فـ "العَرض" صورة للنتيجة المرض لكن التشخيص الصحيح يفصح عن الاسباب و المحاضن الدالة و المؤثرة.

أتساءل هل ان ما يظهر في المشهد الادبي الراهن هو مرض ام تغير و تنوع؟ لماذا حين تتغير السياقات المحيطة و تتغير صورة المجتمع والفكر و الاقتصاد و انماط العيش... نريد ان تبقى الاشكال الادبية على حالها و مستويات التذوق و اتجاهات النقد و مناهجه..؟ نحن نقرأ تاريخيا على مدى عصور التاريخ عالميا تأثر الادب بالمتغير السياسي و الاجتماعي و الفكري سواء كنا مع هذا التغير ام لا، لكنه حقيقة قارّة الوجود نعم ان العبقريات المتفردة هي دائما استثناء على القاعدة و لكن التغير ثابت الوجود.. فكم ظهرت رؤى و تكونت استجابات متعددة متباينة في مسألة الاسلام و الشعر و كم تساءل المتسائلون عن الذي اصاب الشعر هل هو ضعف ام تغير ام تطور ؟ وكذا الامر في سائر العصور مهما اضعفنا من " مرآتية" انعكاس صورة العصر على الادب.. لكل عصر دواله الخاصة و المهيمنة و اسماؤه و اسلوبياته و آلياته و جمهوره ايضا، يمكن عد انحسار جمهور الشعر العربي الفصيح تحديدا – لان الشعر الشعبي الآن لا يعاني ما يعانيه الشعر العربي الفصيح بل ارى هذا العصر عصر ازهار الشعر الشعبي عراقيا بأسمائه السبعينية وما بعدها وكذلك الاسماء الجديدة و ممن جمعوا الجمرتين "الفصحى و العامية" -، حين انظر للمشهد عن بعد ارى جملة بواعث و دوال منها: ١ – ان تغير الاستجابة و التذوق في المراحل التاريخية الانتقالية تحديدا مرهون بصورة مرحلة سابقة فعند التغيير تنحو الشعوب نحو ابعاد او الغاء مرحلة تاريخية بما تشتمل عليه من رموز ودوال وتجارب حتى يتجاوز الامر الى من ينتمون الى انفسهم وليس الى سلطة كانت قائمة لكن الذهن الجمعي ربط بين الاثنين.. او ان تتوجه الاستجابة لايقاظ التجارب المهمّشة و المقموعة سابقا لرد الاعتبار اليها ورفع الاهمال و الغبن عندئذ لابد من تغير صورة المشهد ووجوهه.

2 – صورة الانقلاب الفجائي في الماحول تحدث اهتزازا في منظومة القيم و الافكار و المدارك و الانفعالات و حتى الاختيارات فتخلق الثقافة الجديدة الطارئة الصادمة انساقا مغايرة في صورة " و الى " .. او " قبل و بعد ".. على طريقة عمليات التجميل هذه الايام!!... بطبيعة الحال يتولد خطاب مغاير في ضوء السائد المهيمن من انساق فكرية اثبتت حضورها في الراهن ومن البدهي ان يظهر الحنين الى ما قبل المرحلة التي سببت الصدمة و التحول و هذا امر عريق في الذات البشرية وفي كل المجتمعات الى ان تستقر قيم جديدة و خطابات جديدة ايضا مؤسسة لتاتي مرحلة اخرى انتقالية ايضا فتصبح هذه الجديدة قديمة و هكذا دواليك..

3 – ثنائية الجدل بين الاطار و المحتوى فاذا ما سلمنا ان الانظمة المركزية "الديكتاتورية" تتزامن معها خطابات ادبية تساوقها او تتعارض معها، فان الانظمة التعددية "الديمقراطية" بطبيعة الحال تنتج خطابات ادبية اخرى تعيد الاعتبار للهامش الثقافي على المهيمن.. تنتصر للمسحوق و المهمّش و المعارض.

4 – على صعيد النخب الادبية و الملتقيات و الاتحادات الامر يتراوح بين نشاطات مرحلية مناسباتية واخرى في صيغة منهاج ثقافي منتظم يصيبها ما يصيب الحياة العراقية دوما من تلكؤ بسبب الضغط الامني الراهن فضلا عن قضايا التمويل و مستوى القيادات الثقافية.. ما يعنينا هنا جمهور المتلقين وهو يتشوق الى نمط اخر يستوعب ما يجري راهنا"، في الامر شأن نفسي او نفساني نجد آثاره ابان الازمات و المراحل التي تعيش الازمات او التي خرجت منها توا.. تلجأ الجماهير الى الترويح و الفكاهة لتخفيف الالم عن الذات المتعبة من اجل خلق موازنة او لنقل مفارقة مع الواقع المأساوي التي تتنفس غباره اليومي قسرا .. يبدو لي ان انماطا فنية و ادبية اخرى شغلت هذا الحيز كالغناء و الشعر الشعبي و النكات الفكاهية وغيرها على نحو تزامني عجيب فقديما يذهب الناس الى المسرح لسماع ام كلثوم و قد يسافرون لأجل ذلك.. اما الان فمكتبة الغناء العربي و الغربي صورة وصوت في جهاز صغير في اليد فلا يحتاج الجمهور الا ضغطة صغيرة فيسمع و هو يمشي و يأكل او يقرأ... قد نعدّ هذا من قبيل الترويح و التطهير على رأي الشيخ ارسطو في اثر الفن على النفس البشرية و ما يحدثه من اسقاط او تنفيس او تعويض.

5 – هناك قصور ربما من المبدعين انفسهم في تجاوز حالة الاحباط المرير من المتغير الماحولي و طغيان لغة العنف و الرصاص على لغة العصافير.. الحق ان العراقي مبدع فيه حاجة الى روح "سوبرماتية"!! لكن بشرط ليست اميركية الصنع!! حتى يمكن الاستمرار و التواصل و الابداع و التميز في ظل هذا المشهد الرهيب .. اما اولئك الناجون من المحرقة فهم في بلاد الدنيا يكتبون و ينشرون ضيمهم و خلاله يتغزلون بـ النخلة و الفرات و كلكامش و تراب الديرة و كحلة السمرة.. يمارسون عراقيتهم في غير بلدهم فيُحسبون على انفسهم و على الاقاصي التي فيها يحلون و ينتجون.

6 – ثقافة الداخل تعاني من الخوف القهري و التجبير ورهاب الخروج للنشاط و المشاركة و التفاعل هذه الامور تشكل قواهر ضاغطة لأي "حراك" ابداعي برغم وجود "حركة" ادبية و ثقافية و لكن يبدو ان ما يحدث به حاجة الى ادوات معرفية فائقة لفك شفراته و تفسير نصوصه.

7 – اختلاف مستوى التلقي بحسب المتغير الالكتروني المعاصر فالشعر ما عاد المادة المكتوبة على ورق او الملقاة على منصة حفل او مهرجان او برنامج تلفزيوني، فلقد نشطت وسائل اخرى في التوصيل و هو ما تحاول تقصّيه نظرية "القصيدة التفاعلية" التي نظر لها عراقيا على ما اعرف الناقد المبدع د. مشتاق معن والتي تشير الى التقنيات الجديدة في الايصال الشعري عبر الحاسوب و مؤثرات الصوت و الصورة و الموسيقى و المشهد.. على اعتبار ان الذائقة تغيرت فلا بد من تحديث وسائل الايصال بحكم ما متاح اليوم و لم يكن بالامس برؤية معارفية متحركة منتجة تطرح فرضيتها ثم بعد ذلك ينطلق الحوار و تتعدد القراءات، و قد كتبت عنه اكثر من عشر دراسات لاساتذة و نقاد كبار منشورة في مواقع الكترونية معتبرة مثل موقع "النخلة و الجيران" و غيرها. ايها المحاورون الكرام.. اتمنى عليكم ان تطوروا هذا المسعى الجليل في النظر في اشكالية الراهن الابداعي و لا يكون فقط في اطار مقالي عابر بل في صيغة كتاب او سلسلة اصدارات او مشروع نشر او مؤسسة تتبنى فحص الثقافة العراقية الراهنة و اشكالياتها فحصا علميا و منهجيا سليما صادق النية راقي الاهداف كي نكون نحن الشهود على عصرنا الناطقين به و عنه، قبل ان يأتي اليوم الذي نتوسل بمن ياتي بعدنا و نقول له كما قال الشاعر الالماني " برتولت بريخت": "اذكروا .. حين تتكلمون عن ضعفنا.. الزمن الاسود الذي نجوتم منه..".

* موقع كتابات